رأي القدس

«القاعدة» تضرب مجددا في السعودية

■ شهدت مدينة جدة، العاصمة الاقتصادية للمملكة العربية السعودية، اشتباكات بين قوات الامن وخلية تابعة لتنظيم القاعدة، اسفرت عن مقتل جنديين على الاقل واصابة عدة أفراد آخرين من الجانبين، مما يعني ان تنظيم «القاعدة» ما زال قويا، وان كل التصريحات الرسمية حول القضاء عليه كانت سابقة لاوانها.

قوات الامن السعودية حققت نجاحات كبيرة في حربها ضد التنظيم، عندما نجحت في القضاء على قيادات الصف الاول في هجمات ناجحة في اكثر من مدينة، ولكن اشتباكات جدة الاخيرة، ومحاولة احدى خلايا التنظيم مهاجمة احد اهم مراكز الصناعة النفطية في ابقيق بالمنطقة الشرقية السعودية تشير الى ان قيادات الصف الثاني استطاعت بنجاح قيادة التنظيم، واعادة تجميع صفوفه، وتجنيد خلايا جديدة، ربما تكون اكثر خطورة من الخلايا الاولى التي تم القضاء عليها.

واذا القينا نظرة اكثر شمولية لتقييم وضع تنظيم القاعدة، وبعد خمس سنوات من اعلان الادارة الامريكية وحلفائها في المنطقة العربية، وخاصة المملكة العربية السعودية، الحرب عليه نجد ان هذا التنظيم بات اكثر قوة وانتشارا، وان الايام او الاشهر المقبلة على وجه التحديد قد تشهد صعودا جديدا له، ينعكس في عمليات ضخمة، سواء داخل المنطقة العربية او خارجها، لان الاخطاء الكارثية للسياسة الخارجية الامريكية، وفي العراق تحديدا، تصب في مصلحته، وتسهل مهمته في تجنيد اكبر عدد ممكن من الشباب الاسلامي المحبط المهان لشن عمليات ضد اهداف امريكية او رسمية سعودية.

الحرب الامريكية في افغانستان ادت الى الحاق ضربات موجعة بتنظيم القاعدة، حيث حرمته من الملاذ الآمن الذي تمتع به ومكنه من بناء قواعده العسكرية، وتوفير المأوى للعديد من انصاره الذين تشتتوا في انحاء المعمورة بعد انتهاء الجهاد الافغاني وبسبب مطاردة الاستخبارات العربية والامريكية لهم، مثلما حرمته ايضا من نظام طالبان الذي وفر له الحماية، وقدم له ولقيادته الغطاء السياسي والدعم المعنوي. ولكن الاحتلال الامريكي للعراق وفر للتنظيم كل ما خسره في افغانستان، واعاده الى قلب المنطقة، وزوده بمخزون بشري هائل من الشباب المسلم الغاضب على واشنطن وحكومتها التي مزقت بلاده ودمرتها.

تنظيم القاعدة اقام امارته الاسلامية في الرمادي، ويبدو انه سيجعلها «تورا بورا» اخرى ينطلق منها انصاره لتنفيذ هجمات خارج العراق، وبالذات في الدول التي تتبنى السياسات الامريكية، والسعودية ومصر والاردن، الاضلاع الاساسية في التحالف السني الجديد الذي تخطط واشنطن لاقامته حاليا في مواجهة ما تسميه بالمثلث الشيعي تحتل رأس القائمة في هذا الخصوص.

المسؤولون السعوديون كانوا محقين عندما اعربوا عن قلقهم من ظاهرة «العائدين من العراق» اي الشباب السعودي الذي قاتل في صفوف القاعدة ضد القوات الامريكية المحتلة في هذا البلد، فلديهم، ودول عربية اخرى، تجربة مريرة مع المجاهدين العرب العائدين من افغانستان، مع فارق اساسي وهو ان الجهاديين العائدين من العراق سيكونون اكثر خطورة، واشد رغبة في الانتقام من الانظمة العربية التي خذلت العراق والعراقيين، وتواطأت مع الاحتلال الامريكي، وضيقت الخناق على الجهاديين.

تنظيم «القاعدة» بات اقوى عشر مرات مما كان عليه في افغانستان قبل الحرب الامريكية التي اعلنت ضده، فقد نجح في اعادة تنظيم صفوفه، وترسيخ وجوده في اكثر من مكان في المنطقة، واصبح تنظيما غير مركزي، تملك قياداته الاقليمية سلطات واسعة في التحرك واتخاذ القرار بمعزل عن القيادة المطاردة. فبعد ان كان هناك تنظيم واحد للقاعدة في افغانستان اصبحت هناك تنظيمات عدة في العراق والسعودية واوروبا والصومال، وقريبا جدا في دارفور.

ايام الانظمة العربية حليفة الغرب تبدو صعبة للغاية، وربما ستصبح اكثر صعوبة اذا ما جرتها الادارة الامريكية الى حرب جديدة ضد ايران، حيث من المتوقع ان تواجه تنظيمات شيعية متطرفة الى جانب تنظيم القاعدة نفسه.

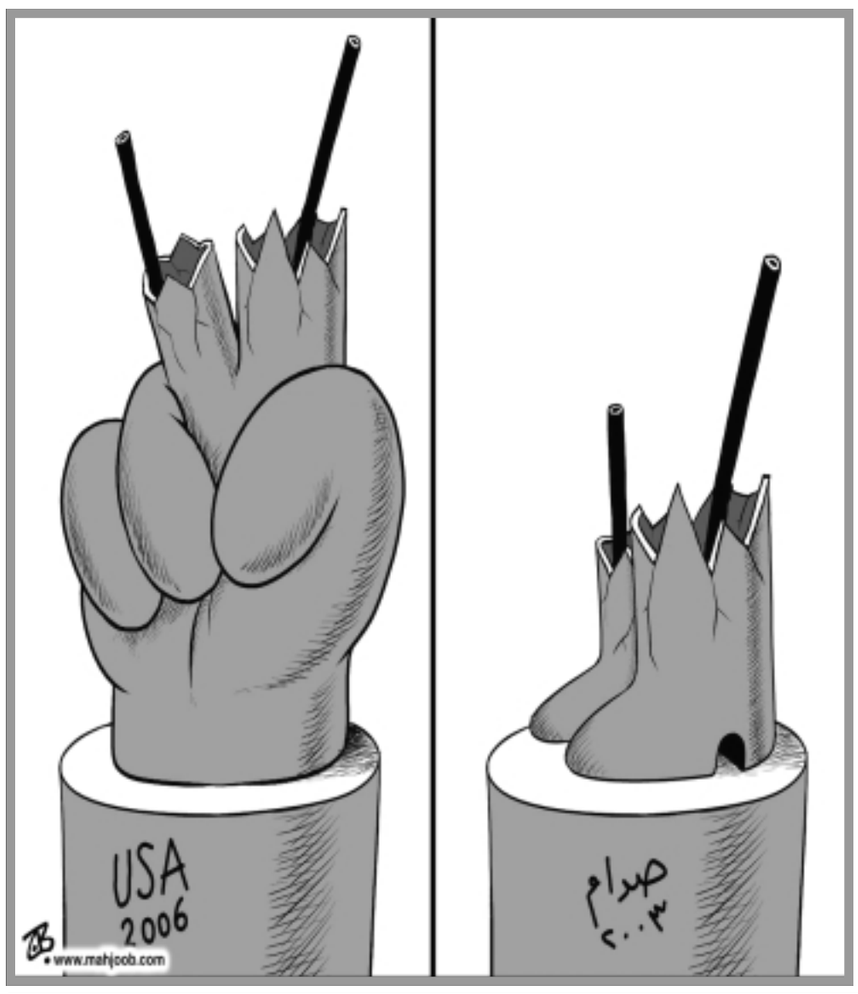

سورية في توصيات بيكر ـ هاملتون: فاقد الشيء كيف يعطيه؟

صبحي حديدي *

■ التوصية رقم 15 في تقرير جيمس بيكر ـ لي هاملتون حول العراق، والتي تحثّ إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش على فتح حوار مع سورية بصدد حلّ مشكلات العراق (أو بالأحرى: حلّ مشكلات التورّط العسكري الأمريكي في العراق)، تطالب النظام الحاكم في دمشق بتنفيذ ما يلي، ونقتبس حرفياً:

1 ـ التزام سورية التامّ بقرار مجلس الأمن الدولي 1701 لشهر آب (أغسطس) 2006، والذي يؤمّن الإطار لاستعادة لبنان سيطرته السيادية على كلّ أرضه.

2 ـ تعاون سورية التامّ في كلّ التحقيقات الخاصة بالاغتيالات السياسية في لبنان، خصوصاً اغتيال رفيق الحريري وبيير الجميل.

3 ـ الإيقاف الفعلي للمساعدة السورية لـ «حزب الله» واستخدام الأراضي السورية لنقل الأسلحة والمساعدات الإيرانية إلى «حزب الله» (وهذه الخطوة سوف تساعد كثيراً في حلّ مشكلة إسرائيل مع «حزب الله»).

4 ـ استخدام سورية نفوذها لدى «حماس» و«حزب الله» من أجل إطلاق سراح جنود قوّات الدفاع الإسرائيلي المختطفين.

5 ـ الإيقاف الفعلي للجهود السورية الرامية إلى نسف حكومة لبنان المنتخَبة ديمقراطياً.

6 ـ الإيقاف الفعلي لشحنات الأسلحة من سورية، أو عبر حدودها، إلى «حماس» وسواها من المجموعات الفلسطينية الراديكالية.

7 ـ التزام سوري بالمساعدة في الحصول من «حماس» على اعتراف بحقّ إسرائيل في الوجود.

8 ـ بذل سورية جهوداً أكبر لإغلاق حدودها مع العراق.

حسناً... ما الذي يتبقى للنظام السوري من هوامش مناورة أو أوراق مساومة إقليمية، بعد كلّ هذه الاشتراطات؟ وإذا وافق النظام على تنفيذ نصف هذه الاشتراطات، وليس جميعها، فما الذي سيميّزه عن الأنظمة العربية التابعة علانية للولايات المتحدة، والتي لم يتوقف إعلام النظام عن هجائها، وأطلق بشار الأسد على زعاماتها صفة «أنصاف الرجال»؟ ثمّ، في نهاية المطاف، وبالنظر إلى أنّ النظام «ليس جمعية خيرية» كما ردّد رجالاته مراراً، ما الحوافز التي ستمنحها أمريكا في المقابل، خصوصاً وأنّ مجموعة بيكر ـ هاملتون اعتمدت مبدأ الترغيب والترهيب، في آن معاً؟

تقول التوصية 16، بالحرف: «في مقابل هذه الأفعال وفي سياق اتفاقية سلام تامة وآمنة، على الإسرائيليين إعادة الجولان، مع ضمان أمني أمريكي لإسرائيل يمكن أن يشمل نشر قوّة دولية على الحدود، بما فيها قوّات أمريكية إذا طالب بها الفريقان». وتنتهي التوصية هنا، دون أن تتضمن أيّ جديد ملموس ذي طبيعة تعهدية أو تعاقدية حول عزم الولايات المتحدة إجبار الدولة العبرية على تنفيذ الإنسحاب، وكأنّ الجيش الأمريكي هو الذي يحتلّ هضبة الجولان ولا يحتاج انسحابه إلا إلى توصية وجيزة يعقبها أمر عسكري من الرئيس الأمريكي! وليس هنا المقام المناسب للخوض، مجدداً، في سلسلة الاعتبارات الإستراتيجية العسكرية والجيو ـ سياسية والاقتصادية، لكي لا نضيف: الدينية التوراتية، التي تجعل أيّ انسحاب إسرائيلي من الجولان، أو حتى في الجولان، أمراً مختلفاً تماماً عن كلّ انسحاب إسرائيلي سابق من أراض عربية محتلة: مختلفاً بمعنى شديد التعقيد، عالي التطلّب، باهظ الثمن إسرائيلياً، إلى حدّ الاستحالة.

فإذا كانت مادّة الترغيب الوحيدة التي يعرضها تقرير بيكر ـ هاملتون على النظام السوري منتفاة أصلاً في ضوء ميزان القوى الراهن بين إسرائيل والنظام السوري، أو في معادلات التوازن العربية ـ الإسرائيلية إجمالاً، فما الذي يمكن أن تنتهي إليه التوصية؟ وإذا جاز الظنّ بأنّ الحكماء العشرة في مجموعة بيكر ـ هاملتون (خصوصاً السادة من أمثال لورانس إيغلبرغر، الذي لا تغيب عنه شاردة في الشطر الإسرائيلي ـ الفلسطيني ـ السوري من مشكلات الشرق الأوسط) يعرفون مسبقاً أنّ هذا المآل عالق بالضرورة عند امتناع الإسرائيليين عن الإنسحاب من الجولان، فهل صيغت التوصية من أجل رفع العتب فقط؟ أم من أجل ذرّ الرماد في العيون؟

أو، كما قد يرجّح المنطق الاستدلالي البسيط، لعلّ الحوار مع النظام السوري فقرة تمتّ إضافتها على سبيل التكملة الزخرفية للحوار الآخر الضروري تماماً مع إيران، ولكي لا يُقال أنّ الهجوم الدبلوماسي الذي أوصت به المجموعة يطرق أبواب طهران وحدها. ذلك لأنّ الكثير من مفاتيح حلّ المشكلات العراقية، المذهبية والسياسية والأمنية والعسكرية، تمسك به إيران أولاً وثانياً وثالثاً وعاشراً، والجليّ حتى الساعة أنّ ضبط الحدود السورية ـ العراقية هو المفتاح الوحيد الذي يتوفّر في دمشق. الدليل على هذا أنّ تقرير بيكر ـ هاملتون لم يشترط على النظام السوري أيّ جهد عراقي مباشر ما خلا ضبط تلك الحدود (وجاء أصلاً في ذيل اللائحة!)، في حين أنّ اشتراطات سبعة من أصل ثمانية شدّدت على مسائل تخصّ لبنان و«حزب الله» و«حماس» وإسرائيل.

في صياغة أخرى، لكأنّ مجموعة بيكر ـ هاملتون تعترف بأنّ فاقد الشيء لا يعطيه، أو فاقد التأثير لا يمارسه، وما دام النظام السوري لا يمتلك مساحة تأثير ذات معنى على الساحة العراقية، سنّة أو شيعة أو كرداً أو مقاومة أو مجموعات إرهابية، فإنّ التعاون مع دمشق سوف يقتصر على القضايا التي لا تعني العراق إلا على نحو غير مباشر، أو هي لا تخدم على نحو مباشر إلا أمن إسرائيل: في موازاة استقرار لبنان السياسي، وضبط أو تحجيم أو إضعاف «حزب الله» و«حماس». وبهذا المعنى يبدو عجيباً، إذا لم يكن سذاجة مدروسة يُراد منها إرسال إشارات حسن النية، أن يسارع بعض الناطقين باسم النظام إلى الترحيب بالتوصية 15، والنظر إلى مطلب فتح الحوار الرسمي الأمريكي مع النظام بوصفه خطوة إيجابية، والتعامي التامّ في الآن ذاته عن محتوى ذلك الحوار كما حدّدته التوصية. فهل ينوي النظام تنفيذ بعض أو جميع تلك الاشتراطات؟ ولكن، كيف له أن يفعل دون إلحاق الأذى بـ «حزب الله» و«حماس»، ودون تنفيذ فصل جديد في الإنسحاب الأمني ـ السياسي من لبنان، فضلاً عن خيانة التحالف مع طهران؟

هذه محاججة تفضي إلى التفصيل الأكثر عجائبية في التوصية 15، أي افتراض حكماء مجموعة بيكر ـ هاملتون أنّ النظام السوري يمتلك، بالفعل، تأثيراً قوياً على «حزب الله» و«حماس»، يبلغ حدّ إقناع الحزب والحركة بإطلاق سراح الجنود الإسرائيليين الأسرى، والاعتراف بحقّ إسرائيل في الوجود، والانسحاب من الحراك السياسي الداخلي في لبنان أو فلسطين لصالح حكومة فؤاد السنيورة أو إدارة الرئيس الفلسطيني محمود عباس... مَن تكفّل بإقناع أولئك الحكماء أنّ «حزب الله» و«حماس» أقرب إلى فرع حزبي أو شعبة أمنية، تابعين للنظام السوري تبعية تبلغ درجة الطاعة العمياء وتنفيذ الأوامر بحذافيرها؟ وسوى هذا اليقين الذي خامر الحكماء، أو لعلّهم زعموا الاقتناع به لأغراض خافية في النفوس، كيف أمكن الظنّ بأنّ دمشق تستطيع اقتياد «حزب الله» و«حماس» إلى حيث تريد واشنطن وتل أبيب، أي إلى نقيض نضالات الحزب والحركة، ونقيض تراث الشهداء والخسائر والحروب والتضحيات؟

صحيح أنّ دمشق تستطيع إغلاق حدودها أمام عمليات تسريب السلاح الإيراني إلى «حزب الله»، وقد سبق لوزير الخارجية الإسباني ميغيل أنخيل موراتينوس، ورئيس الوزراء الإيطالي رومانو برودي، أن سمعا من الرئاسة السورية استعداداً ملموساً للمقايضة في هذا الأمر. غير أنّ قيمة هذه الورقة آخذة في التناقص كلما ضاقت خيارات «حزب الله» العسكرية في استخدام السلاح لأغراض المقاومة ومواجهة العدوّ الإسرائيلي، وكلما صار السلاح عبئاً على الحزب في معادلات الداخل اللبناني السياسية التوافقية، بدل أن يكون امتيازاً في ربط تلك المعادلات بموازين إقليمية رابحة أو ضاغطة. ومن جانب ثان، لن يكون قرار إغلاق منافذ السلاح السورية إلى «حزب الله» أقلّ من فكّ ارتباط صريح مع طهران، وربما مع الأجنحة الأكثر تشدداً ـ والأشدّ قبضاً على مقاليد الحلّ والربط ـ في القيادة الإيرانية، هذا إذا لم يبلغ فكّ الارتباط مستوى من التدهور أدهى عاقبة وأشدّ أذى على النظام السوري، في لبنان كما في الداخل.

صحيح، كذلك، أنّ استضافة بعض قيادات «حماس» في دمشق منحت النظام السوري مرجعية من طراز خاصّ ـ لا تتجاوز تارة قيام وفود عربية أو دولية بزيارة العاصمة السورية لمجرّد ان خالد مشعل لا يستطيع مغادرتها، وقد تتجاوز هذا طوراً، فتبلغ مستوى مناشدة القيادة السورية أن تتوسط في هذه أو تلك من المسائل ذات الطابع الإجرائي... ـ ولم يكن في وسع «حماس» إلا ان تمنحها، من قبيل ردّ جميل الضيافة في الأقلّ. غير أنّ «حماس» برهنت أنّ عمقها الشعبي الإسلامي، أو الشعبوي أحياناً، وكذلك علاقاتها الخليجية (في سياقات ما تلعبه دولة قطر من أدوار عربية ـ عربية وعربية ـ إسرائيلية متعددة الوظائف بصفة خاصة) عناصر قوّة تخدم حركتها على نحو لا يقلّ حيوية عن إقامة بعض قياداتها في دمشق، على ما قد تكتنفها تلك الإقامة من مخاطر أمنية (كما حين نجحت إسرائيل، قبل سنتين، في اغتيال عز الدين شيخ خليل أحد قياديي «حماس»، في أحد أحياء العاصمة السورية).

ولكن الصحيح، في الآن ذاته، أنّ مستوى تأثير دمشق في القرارات السيادية، وذات البعد الإستراتيجي العميق والمصيري والكياني، لكلّ من «حزب الله» و«حماس»، لم يعد اليوم يتجاوز إغلاق منافذ تهريب السلاح إلى لبنان، أو ترحيل مشعل وصحبه من دمشق. ولقد بات واضحاً وثابتاً أنّ دور النظام السوري ظلّ هامشياً ومحدوداً وغير مشارك في معظم القرارات الحاسمة التي اتخذها «حزب الله» أو «حماس» في منعطفات سياسية وعسكرية حاسمة، خصوصاً حين ارتدى محتواها التكتيكي طابعاً إقليمياً ينذر بخلخلة المعطيات الإستراتيجية المقترنة بها (كما في انتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني وحصول «حماس» عل أغلبية ساحقة، أو النجاح في خطف الجندي الإسرائيلي، أو صمود مقاتلي «حزب الله» على نحو بطولي أسطوري في مواجهة العدوان الإسرائيلي الأخير على لبنان).

ويبقى هزال التوصيات التي اعتمدتها مجموعة بيكر ـ هاملتون في كلّ ما يخصّ موجة التبشير الديمقراطي التي عصفت بالمحافظين الجدد وانتقلت على نحو آلي إلى رجال الإدارة ونسائها، إذ يبدو وكأنّ تقرير المجموعة لم يعد يرى العراق فردوساً للديمقراطية، أو مُصدِّر جرثومتها المعدية إلى الجوار والمنطقة بأسرها. العكس هو الذي يتقافز من بين السطور الكثيرة التي تتكئ على لغة خشبية، سيما تلك التي تتحدّث عن حوار مع سورية النظام وليس مع سورية الشعب أو المجتمع المدني (كما تعالت بهذا عقيرة وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس ذات يوم غير بعيد). وعن حوار مع إيران الإمام الخامنئي ومبدأ ولاية الفقيه، وليس مع إيران الإصلاح وإيران التمدّن.

ولهذا، لن يكون مستغرباً أن تنخرط إدارة بوش في «حوار» من نوع ما مع النظام السوري، من قبيل ذرّ الرماد في العيون واستكمال تفاصيل الزخرف الذي يقترحه تقرير مجموعة بيكر ـ هاملتون، الثابت، لأنّ وقائع التاريخ القريبة مثل البعيدة تدلّ عليه، أنّ أيّ حوار من هذا النوع سيجري على حساب الشعوب، في سورية وإيران أولاً، ثمّ في لبنان وفلسطين والعراق تالياً، ولن يكون «حزب الله» و«حماس» خارج لائحة الخاسرين... إذا لم يتصدّراها، للأسف!

* كاتب وباحث سوري يقيم في باريس

طباطبائي يرهن عمامته السوداء لدى آية الله بوش

هارون محمد *

■ الذين شاهدوا عبدالعزيز طباطبائي الحكيم في البيت الأبيض مساء الأثنين الماضي، وهو يجلس كتلميذ بليد أمام الرئيس الامريكي يتضرع اليه ويسبح بحمده ويشكر حربه على العراق، ويثمن عدوان قواته على العراقيين، ويناشده عدم سحبها، لم يأخذهم العجب ولم تنتابهم الدهشة، من هذه المواقف الخيانية الصفيقة، فالرجل سليل اسرة معروفة تأريخياً بتعدد ولاءات أفرادها لأعداء العراق، منذ آية الله محسن مهدي حسن الحكيم مروراً بمهدي وباقر وانتهاء به، سواء كان هؤلاء الأعداء بهلويا كشاه ايران او خمينيا او خامنئيا او بوشيا، بل ان واحداً من اعمدة هذه الاسرة الوافدة على العراق من ايران وهو مهدي الذي لقي مصرعه في الخرطوم عام 1987 كان يتعامل مع سبعة أجهزة مخابرات اقليمية واجنبية، وهو ما دعا خميني الى منعه من زيارة ايران بعد تسلمه الحكم في طهران، مردداً مقولة مشهورة تنقل عنه مفادها: ملاك مهدي لدينا ـ يقصد ايران ـ انتقل الى أخويه، دعوه يشتغل في ملاكاته الأخرى، والملاك مفردة تستخدم كاطار وظيفي كما هو معروف.

ولأن عبدالعزيز ملا من الدرجة الرابعة ولا يستطيع ارتجال جملة عربية مفيدة واحدة، رغم ان امه من لبنان، وان درجته الدينية هي حجة اسلام كما يدعي، فانه أخرج من جيبه ورقه طبع عليها تصريحه وراح يتلوه في حضرة بوش، في مشهد غير مسبوق في تقاليد البيت الابيض، حتى ان الرئيس الامريكي ظهرت على وجهه المفاجأة وكاد يغرق في الضحك، ولكنه اكتفى بابتسامة جمعت بين الاستهزاء والخباثة بضيفه المعمم، ولا نعلم ماذا دار من تعليقات ونكات بين موظفي ومستخدمي بيته وادارته عقب المنظر الكاريكاتيري، وأغلب الظن ان بوش اصدر تعليماته بتفويت المسرحية الكوميدية تفادياً للفضيحة، وما تثيره من سخط عليه لدى الجمهور الامريكي الذي لابد ولاحظ هيئة أحد حلفاء او أصدقاء او عملاء (لا فرق) رئيسه، وهو بهذه الصورة المضحكة في تصرفها وسلوكها. ومن اطلع او قرأ تصريح طباطبائي في الورقة المكتوبة بين يدي بوش ، لا يحتاج الى عناء لاكتشاف ذلك التهافت الرخيص والتوسل المزري، خصوصاً عندما يقول: ان لقاءنا هذا يأتي انطلاقاً من حرصنا على التشاور المستمر فيما بيننا، وان المصالح الامريكية والعراقية باتت مترابطة.

وواضح انه استخدم مفردة (التشاور) بدلاً من كلمة اخرى قد تكون (التخادم) مثلاً او العمالة كذلك، لأن الرؤساء الامريكيين ومنذ الحرب العالمية الثانية لا يتشاورون الا مع زعماء الدول وقادتها ممن لديهم مكانة دولية وقوة تأثير وحضور سياسيين في العالم، أما الرؤساء الصغار ومسؤولو الاحزاب والهيئات الخارجية، فالمسألة لا تعدو غير فولكلور امريكي، يجلس الرئيس الى جانب ضيفه مجاملة ويتحدث بكلام مقتضب وتلتقط الصور التذكارية وتنتهي الحفلة، ثم يحول سيد البيت الابيض، الضيف الى احد مساعديه او (السي اي ايه) عادة، كما في حالة طباطبائي لاستكمال مباحثاته.

وقد انتجت زيارة طباطبائي الى البيت الابيض ولقائه مع الرئيس الامريكي سلسلة من التداعيات في الاوساط الشيعية العراقية والعربية، بدأت تظهر في مقالات وتعليقات لكتاب شيعة، واضح انهم حانقون ومتألمون، بعضهم يلوم عبدالعزيز لذهابه الى واشنطن بعد ان رفض بوش مقابلته في عمان التي تواجد فيها الاثنان في وقت واحد، وبعض آخر ينتقده لانه خرج على التراث الشيعي الذي يحرم الاجتماع والتعاون مع الاستكبار والمستكبرين حسب وصف آية الله الخميني رحمه الله، ولعل مقالة الكاتب والباحث الشيعي البارز طالب الشطري وعنوانها (الحكيموش.. عمامة سوداء في البيت الابيض) المنشورة في صحيفة (كتابات) تعد من أعمق المقالات في هذا الصدد، لحد الان على الاقل، لانها جمعت بين تقاليد وأعراف شيعية متوارثة يدعي طباطبائي الالتزام بها، وبين خضوعه المذل للرئيس بوش وفيها: لقد وضع عزيز الحكيم اسم المجلس الاعلى واسم مرجعية ابيه واسم ناخبيه في (الكونية) وقدمها الى بوش، و(الكونية) في اللهجة الشعبية تعني كيس من الخيش، ويتساءل الكاتب بمرارة: ما للشيعة والبيت الابيض، وما للعراقيين الاقحاح وكل هذه المهازل، وهل من اهانة تلحق بالعراق والعراقيين أكبر من معاداة الحكيم لبوش فيما يخص ايران، ومصاحبته فيما يتعلق بالعراق، أليس هو اذن وطن يباع بالطن، لانه ليس وطنهم ولا حتى مذهبهم، طالما كانوا في العراق، ويختتم الشطري مقالته: (عمامة عزيز الحكيم ستكون أول عمامة في الاسلام تدخل البيت الابيض، وللأسف فانها سوداء ومحسوبة على الشيعة، ويقتضي اعلان البراءة منها لانها سقطت قبل عقود وسمع الناس صوت سقوطها الان).

وواضح ان طباطبائي الذي صدع رؤوس العراقيين بدفاعه الاخرق عن (مظلومية الشيعة) وتصنيفهم الى اتباع آل البيت، وأعداء آل البيت، تبين انه يقصد البيت الابيض وليست بيت المصطفى (صلى الله عليه وسلم) كما يفهم من كلامه، والدليل انه مازال يلعن صحابة الرسول الاعظم وزوجاته والرجال الذين حملوا رسالته المحمدية ونشروها في أرجاء المعمورة بالدعوة او الفتوحات، بينما يمتدح ويشيد بالرئيس بوش وربما يعتبره آية من آيات الله ولا يقدر على اعلان ذلك لاسباب معروفة، أو ينظر اليه كولي للمسلمين على حد وصف شاعرنا الاستاذ سعدي يوسف.

وقبل أسابيع جاءني صوت صديق قديم عبر الهاتف من العاصمة الاردنية التي جاء اليها هاربا من القتل والخطف ، وهو استاذ جامعي شيعي ومن قبيلة (تميم) العربية المعروفة، التي تنتشر في انحاء العراق وتعدادها حسب التقديرات بفروعها قرابة مليون انسان، وبلا مقدمات قال ضاحكاً: أبشرك.. لقد عدت الى اصولنا السنية ومعي الالوف من بني تميم.. وقاطعته بحدة قائلاً له: ارجوك.. تجاوز هذا الموضوع فانت اكبر من هذه المسائل، فرد علي بحدة أشد، لا .. أنا لا يشرفني كشيعي عربي ان يمثلني عبدالعزيز او غيره من الايرانيين والهنود والباكستانيين والاذريين، ثم اننا تشيعنا والتزم كثير منا بالتقاليد الشيعية، وصلينا على (التربة) كما يريدون، ولطمنا على الحسين عليه السلام بصدق، وليس على (الهريسة) كما يفعلون، وعادينا اخوتنا وابناء عمومتنا في الخليج والسعودية والاردن وفلسطين وجميعهم من السنة العرب، وبعد كل هذا وذاك، مازالوا يعيروننا بجدنا القعقاع التميمي القائد المغوار في معركة القادسية، التي حررت العراق من الاحتلال الفارسي الكسروي، بل انهم لا يكتفون بذلك وانما يسخرون منا ويغمزون من اصولنا، لان الشيخ محمد بن عبدالوهاب تميمي ومن بلدة الزبير.

ورغم المعاناة التي يعيشها الشيعة العرب في العراق، جراء تسلط التنظيمات والميليشيات الطائفية المرتبطة بايران عليهم، وملاحقتها للرموز والقيادات والشخصيات والشيوخ والنخب الثقافية والاجتماعية والفنية والرياضية والاكاديمية والعسكرية الشيعية، الا ان التاريخ علمنا بان الشيعة العراقيين كانوا على الدوام أهل نخوة وأصحاب عزيمة، وعرب أقحاح، لا تنطلي عليهم خزعبلات الملالي ودجل المعممين، عروبتهم قبل مذهبهم، وعراقيتهم قبل تشيعهم، ولن ينزلوا رؤوسهم للوافدين على العراق من خارج حدوده.

وبالمناسبة.. لمن يشكك في ايرانية عبدالعزيز طباطبائي الحكيم، نحيله الى كتاب (عراق بلا قيادة.. قراءة في أزمة القيادة الاسلامية الشيعية في العراق الحديث) صفحة 624 لمؤلفه الباحث الشيعي المعروف عادل رؤوف، وفيها وثيقة توضح ان عمار بن عبدالعزيز يحمل الجنسية الايرانية المرقمة (3ـ936598ـ371) علماً بان السلطات الايرانية في عهد الشاه وعهد الثورة الاسلامية والى يومنا الراهن، تعتمد قانونا لا يمنح الجنسية الايرانية الا لمن يثبت بالمستندات والوثائق أصوله الايرانية، حتى لو ولد فيها شخص من أبويين غير ايرانيين، وعاش فيها قرن من الزمان، وقد اشتكى كثير من الذين لجأوا الى ايران وأمضوا فيها سنوات طويلة، ومنهم قيادات في أحزاب شيعية من هذا القانون العنصري الصارم، كما يسمونه، فهل يعقل بعد ذلك، ان يكون الابن ايرانياً، ووالده (عراقيا)؟

* كاتب وصحافي عراقي مقيم في لندن

استسلام أمريكي متأخر جداً

د. عبدالوهاب الافندي

(1)

في عام 1985، وفي ذروة حملة إدارة الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان على حكومة الساندينستا في نيكاراغوا سئل ريغان عما إذا كان هدف إدارته هو إسقاط الحكومة هناك، فأجاب إننا سنتخلى عن محاولة إسقاطهم إذا قالوا «يا عم» وتخلوا عن يساريتهم. عبارة «ياعم» هو تعبير دارج كناية عن الاستسلام، ولا بد أن له نظائر في اللغات الدارجة الأخرى (في الدارجة السودانية يستخدم الصبية تعبير «قول الروب» لمن يريد أن يعترف بالهزيمة وأن يسمح له بالانسحاب بسلام). وكما هو معلوم فإن مثل هذه التعابير تستخدم من قبل الفتوات، وتتعمد الإذلال العلني للخصم عبر تسبيب أمل فوق الاحتمال، واستغلال نقاط الضغط إلى أقصى حد ممكن.

(2)

وسائل الإعلام الأمريكية التي نقلت هذه التصريحات، بما فيها مجلة «تايم» المحترمة، لم تعترض على هذه الاستخدام للغة الشوارع من قبل رئيس دولة عظمى، بل اعتبرتها جزءاً من استراتيجية الرئيس لنقل معركته مع الكونغرس الذي كان يعارض سياسته تلك إلى الشارع وكسب الرأي العام إلى جانبه.

(3)

مع صدور تقرير مجموعة بيكر ـ هاميلتون (المسماة بمجموعة دراسة العراق) أمس الأول قالت أمريكا أخيراً «الروب» بكل اللغات الحية. فالأمر لم يعد يتعلق فقط بالاعتراف بالفشل في العراق (وهو ما فعله وزير الدفاع المعين روبرت غيتس وتبعه في وفاء يحسد عليه رئيس وزرائنا الهمام توني بلير) وإنما بانهيار مشروع المحافظين الجدد بأكمله. فقد شهد هذا الأسبوع انسحاب آخر صقور الإدارة السفير المعين لدى الأمم المتحدة جون بولتون، ومعه كشف عن اعتراف وزير الدفاع السابق دونالد رامسفيلد بالهزيمة قبل أن يبوح بها غيتس عندما كتب إلى رئيسه يطلب تعديلاً جذرياً في السياسة في العراق.

(4)

معالم الانهيار الكامل لا تقتصر مع ما ورد في التقرير (وقبله في نتائج الانتخابات النصفية للكونغرس) من رفض حاسم لسياسة بوش الذي أصر على أنه سيستمر في منهجه حتى لو لم يبق له مؤيد سوى زوجته لورا وكلبهما الوفي، بل يمتد إلى التوصية بسياسات يصعب على إدارة بوش ابتلاعها، مثل التضرع إلى دول محور الشر (سورية وإيران) لإنقاذها من ورطتها، وأسوأ من ذلك، الضغط على إسرائيل لتقديم تنازلات تنقذ بوش وأنصاره من هلاك سياسي محقق.

(5)

لعلها المفارقة الأكبر أن يضطر بوش وبطانته من المحافظين الجدد أن يفرضوا على إسرائيل دفع ثمن مغامرتهم في العراق، ولكن الأمر فيه كثير من العدل. فغلاة المحافظين الجدد، وكلهم من عباد إسرائيل المخلصين، تحمسوا لغزو العراق وإعادة صياغة الشرق الأوسط تحديداً لخدمة إسرائيل وتحويل العالم العربي إلى منطقة نفوذ مدجنة لإسرائيل وأمريكا. الذي تحقق هو العكس، حيث أصبح العراق عبئاً ثقيلاً على كاهل الإدارة، وأصبحت مستعدة من أجل الخلاص من مستنقعه للتضحية بكثير من مصالح ومطالب إسرائيل. وعلى طريقة قادة المافيا حين يتقاضون «الخدمة» ممن قد كانوا أصحاب فضل عليهم في الماضي، يتجه الأمريكيون إلى حلفائهم في إسرائيل مطالبين إياهم بأداء ما عليهم لإنقاذ من وقفوا وراءهم في واشنطون، ولكن ليس هناك ضمان بأن يؤدي هؤلاء الخدمة، فقد بدأ أنصارهم التململ سلفاً.

(6)

الهزيمة الأكبر بالنسبة لأي إدارة هو أن تصل مرحلة تسول القرار من جهات غير حكومية. فها هنا حكومة في أكبر بلد في العالم، لديها وزراء وموظفون ومراكز بحث ودبلوماسيون وجنود ملء البر والبحر والجو، ثم هي تنتظر مثل دولة عالم ثالث يرسل إليها البنك الدولي خبراء يعينونها على فهم وتحليل مشاكلها التي تفتقد البصر والبصيرة والقدرة على مواجهتها! فالهزيمة دائماً تبدأ وتنتهي بفقدان الإدارة.

(7)

الخطأ الأكبر الذي ارتكبته أمريكا في العراق لم يكن تجاهل سورية وإيران وبقية جيران العراق، وإنما تجاهل العراقيين. فبينما نجد أنها حتى في أفغانستان تظاهرت بتنصيب حكومة من أمراء الحرب المحليين، بينما في العراق لم تبال حتى بالتظاهر بذلك. نفس الخطأ ارتكبه عراقيون ظنوا أن الاحتماء بسراب الدبابات الأجنبية يغنيهم عن الحوار مع إخوانهم في الوطن. ونرجو أن يستيقظ القوم قبل فوات الأوان.

(8)

للتذكار فإن حكومة الساندينستا وقتها قالت «الروب» وسمحت بانتخابات حرة، ولكن في إطار تسوية إقليمية شاملة في أمريكا الوسطى. ولكن إدارة ريغان أيضاً قالت «ياعم» بعد اكتشاف فضيحة إيران الكونترا. ولكن المفارقة الأكبر هي أن رئيس الساندينستا دانيل أورتيغا أعيد انتخابه مجدداً رئيساً لنيكاراغوا في إطار الانتفاضة الشاملة التي تشهدها أمريكا هذا العام، وضاع ما أنفقته الولايات المتحدة من دولارات وريالات (سعودية وإيرانية) لإسقاط حكومته.

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان
رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741ـ0208 (6 خطوط)ـ
فاكس: 8902 741ـ0208 أو 7637 748ـ0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) **Fax:** 0208-741 8902 / 748 7637
*email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk*
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel/Fax: (9626) 5066089
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364

AL-QUDS Al - Arabi Volume 18 - Issue 5452 Fri